الأدب اليهودى الحديث

للأستاذ الدكتور فؤاد حسنين على
الأستاذ سابقاً بجامعة القاهرة
والأستاذ المحاضر بالمعهد

آثرت التسمية اليهودية على العبرية ؛ لأن جل ماجاءنا من أدب لأبناء الطائفة اليهودية منذ العصور الوسطى حتى يومنا هذا قد سجل فى اللغات الهندية الأوربية من إنجليزية وفرنسية وألمانية وإيطالية وسائر أخواتها ، كذلك فى لغتين لا ساميتين ولا أوربيتين ألا وهما اليديش واللادينو . أما الكثرة المطلقة فقد جاءتنا فى العربية ونقل بعض هذا التراث الأدبى إلى العبرية فى العصور المتأخرة لا يعنى أنه عبرى وإلا لجاز لنا أن نسمى بعض مسرحيات شكسبير وجوته وغيرهما التى نقلت إلى العبرية أدباً عبرياً ونسبة هذا التراث الأدبى الذى قاله بعض اليهود بعد نقل العهد القديم إلى الأدب العبرى ادعاء غير صحيح وذلك لأن الأدب يصدر عن شعب ولا بد للشعب من وطن تحده حدود جغرافية فوجود هذا الوطن شرط لابد منه لاستكمال مقومات الشعب من خلق البيئة التى تكيفه وتؤهله لإنتاج هذا الأدب .

ومتى توفر الشعب والوطن وجدت اللغة ، لأنها الأداة الضرورية لقيام الشعب ، واللغة هى اللسان المعبر عما يسمى بأدب . وأدب الأمة يجب أن نقرأه ونسمعه ونستوعبه فى لغتها التى أوجدها أبناؤها منذ أن جاءوا إلى الحياة ومن ثم توارثوها وتناقلوها أجيالا وأجيالا ، فالقومية واللغة والوطن مقومات لابد من توافرها لخلق أدب حقيقى يصور نفسية هذه الأمة ويعبر عن خوالجها ومشاعرها فهل ما يحاول دعاة الأدب العبرى الحديث تسميته أدباً تتوفر له مقومات الأدب وتصدق عليه كلمة أدب ؟

«أدب عبرى» تعبير تجاوز ما أطلقت عليه كلمة عبرى فلفظ عبرى ينسب إليه قوم وتنعت به لغة ويعرف به أدب ظهر فيما بعد فى فترة قصيرة جداً من تاريخ هذه اللغة . لكن هل ظل العبريون مستوطنين فلسطين طيلة هذه المدة التى يقال

إن أدب العهد القديم أو كما يعرف أحياناً الأدب العبرى القديم قد صدر فيها ؟ ولو ظل العبريون مستوطنين فلسطين طيلة هذه المدة هل حافظوا على لسانهم العبرى ؟

الواقع أن العبريين سبوا وشردوا أكثر من مرة وإلى أكثر من بلد، واليهودى حيث يقيم فهو دائماً فى حالة تعبئة للرحيل . واللغة العبرية لم تكتب لها الحياة إلا فترة لم تتجاوز إلا خمسة قرون، وقد مرت على العبرية فترات اختفت فيها وتلاشت أمام لغات أجنبية كثيرة . وقد وقع كل هذا قبل زوال دولة إسرائيل فأول لغة اكتسحتها وحلت محلها الآرامية وهى ترجع إلى عصر (عزرا) (٤٥٠ ق.م.) إذ كان اليهود يتكلمون هذه الآرامية لاخارج فلسطين فقط بل فى داخلها أيضاً مما اضطر النبى (عزرا) وغيره إلى استخدام الآرامية فى شرح التوارة لمواطنيهم ولم يقف أمر الآرامية عند هذا بل نجدها تشق طريقها إلى العهد القديم أعنى كتاب العبريين المقدس كما هو الحال فى سفر دنيال وبعض أجزاء عزرا وآيات أخرى متفرقة فى العهد القديم ، كذلك شقت الكتابة المربعة الآرامية الأصل طريقها إلى الكتابة العبرية وأصبحت لغة تدوين أسفار العهد القديم مما دفع متعصبى العقيدة اليهودية كالسامريين إلى رفضها والاحتفاظ بالكتابة العبرية القديمة المستمدة من الكنعانية .

واستخدام الآرامية فى الكتاب المقدس والجمارا والترجوم وكثير من الصلوات اليهودية ولغة حية لكثير من الجماعات اليهودية فى الموصل وكردستان وأزربيجان دليل قوى على مدى تأثر الشعب اليهودى الذى ظل يستعملها فى السوق والأدب حتى القرن العاشر الميلادى .

وغير الآرامية استخدم يهود الاسكندرية وكبار يهود فلسطين اللغة اليونانية والتى نقلت إليها الترجمة المعروفة باسم السبعينية . كما استخدم يهود فارس منذ القرن الرابع ق . م الفارسية والتى ما زالت حتى اليوم لغة يهود إيران وبخارى .

لكن اللغة التى لعبت أخطر دور فى حياة اليهود الثقافية وتاريخهم هى اللغة العربية، وقد تعرف عليها اليهود فى الجاهلية قبل المسيحية والإسلام فقد فروا إليها هاربين من وجه الطغاة وظلمهم ولما بزغ نور الإسلام وتمت الفتوحات أصبحت

العربية لا لغة يهود الجزيرة فحسب بل يهود سائر أرجاء الدولة الإسلامية والتى امتدت أطرافها فبلغت آسيا وأفريقيا وجزءاً من أوربا ، فوحدت العربية بين اليهود بعد أن كانت كل جماعة منهم ترطن لغة القوم أو الأقوام الذين يعيشون بينهم ؛ فالعربية هى التى جمعت بين اليهود وتفاهموا بلسان عربى مبين .

فالكتابة فى الأدب اليهودى الحديث تتطلب إعتماداً على هذا العرض التفرقة بينه وبين أدب العهد القديم، وذلك لأن الخلط بين الأدبين يغاير التطور التاريخى الأدب عامة فأدباء اليهود واليهودية يختلفون كل الاختلاف عن رجالات الأدب فى الشعوب الأخرى إذ بينما نجد أدباء العربية أو الإنجليزية أو الألمانية أو الفرنسية ينتمون إلى جنس بشرى بعينه وإلى وطن بعينه وبيئة بعينها إذ بنا فى الأدب الذى يدعى الدعاة أنه أدب عبرى أو يهودى نجد أنفسنا بين مختلف بلاد المعمورة شمالية وجنوبية وشرقية وغربية كما نقرأ لأقوام يقطنون هضاب الحبشة وغاباتها وسهول القرغيز وسيبيريا فمختلف أقاليم الاتحاد السوفيتى الأوربى الآسيوى فشمال أوربا وقلبها وجنوبها وهكذا الحال فى آسيا وأستراليا وغيرها ، وإذا علمنا أن الأدب هو مرآة البيئة التى تعكس سهولها ووديانها وتلالها وجبالها إلى جانب عاداتها وتقاليدها والأحداث التى مرت بها عبر القرون فكيف يدعى الدعاة أن هذه الآداب والتى وصلتنا فى مختلف اللغات أدب عبرى حديث ، وإذا أصر هؤلاء الدعاة على رأيهم فما موقفهم من التلمود ؟ إن هذا الكتاب الذى يقدسه الربانيون صورة صادقة لهـــذه البلبلة التى أصابت العبرية والعبريين إذ أن القسم الأعظم من التلمود قد وصلنا فى اللغة الآرامية ، كذلك الظوهر والذى يرجع إلى القرن الثالث عشر والذى يعتبر من أشهر ما خلفته القبالا (التصوف الإسرائيلى) دون فى الآرامية . ثم هل يجهل الدعاة أن بلاد العراق كانت مركز الإشعاع العقلى اليهودى حتى القرن الحادى عشر الميلادى ثم انتقلت الزعامة الثقافية والروحية تدريجياً إلى مصر التى كانت تزدهر بها حياة يهودية رفيعة منذ العصر الهللينى . وإبان الحكم العربى لأسبانيا نجد كثيرين من شعراء اليهود الذين انضموا تحت راية الحضارة العربية الإسلامية الأندلسية تفيض قرائحهم بالشعر والنثر ، ومن أشهر هؤلاء الشعراء شموئيل بن نجريلا وموسى بن عزرا ويهودا هللينى وشلومو

ابن جبيرول وموسى بن ميمون ، كما جند كثيرون من اليهود أنفسهم لنشر الثقافة العربية فى فرنسا وإيطاليا وصقلية وشمال أفريقيا .

وبعد أن تقلص الحكم الإسلامى فى الأندلس وتمكن المسيحيون من رقاب اليهود هاجرت جماعات منهم إلى هولندا وشمال ألمانيا وإيطاليا وتركيا ثم إلى أمريكا اللاتينيةالاسبانية، كما اضطر كثيرون منهم إلىاعتناقالمسيحية تقيةويعرف هذا النوع من اليهود باسم (مارانين) .

وقد انتشروا فى القرن الرابع عشر ومن نسلهم انحدر أمثال : أماتوس لوزيتانوس (١٥١١ — ١٥٦٨) وكان الطبيب الخاص للبابا يوليوس الثالث فقد اعتنق المسيحية تقية ثم ارتد عام ١٥٥٨ إلى اليهودية فى سالونيك ، وكذلك (إبراهام لوزيتانوس) وكان طبيباً (١٥٧٦ — ١٦٤٢) فى أسبانيا ، واعتنق المسيحية تقية ثم ارتد عام ١٦٣٦ فى امستردام ، و (باروخ شبينوزا) ينحدر كذلك من نسل يهودى أسبانى .

وهؤلاء اليهود هم الذين نعرفهم اليوم اشكينازيم وسفرديم . وبينما نجد الجماعات اليهودية فى حوض البحر الأبيض المتوسط تواصل حياتها الاجتماعية والثقافية والدينية كما عهدتها فى الشرق إذ بنا فى أوربا الشمالية نجد اليهود حتى الذين كانوا يحيون فيها منذ العصر الرومانى فى ألمانيا وفرنسا يتعرضون لمختلف أنواع الاضطهادوبخاصة إبان الحروب الصليبية، لذلك يرجح أن اليهودالأوربيين انصرفوا إلى بذل عناية أكبر إلى الطقوس الدينية علها تنقذهم من هول مايقاسون وكلما تعرضت جماعة منهم للاضطهاد ظهرت المرائى والرغبة فى الثأر والانتقام وازدادوا حنيناً إلى صهيون .

أما فى الشرق الأدنى سواء فى مصر أو فلسطين أو تركيا فقد واصل اليهود نشاطهم العقلى والروحى . وأما اليهودى الأوربى فقد حاول نظم بعض القصائد أو كتابة بعض القصص ووصف الأسفار وتدوين الرسائل . واستمر الحال كذلك حتى انتقلت أوربا إلى عصر إحياء العلوم والنهضة فتغيرت النظرة إلى اللغة

العبرية وأخذ القوم ينظرون إليها وكأنها اللاتينية أواليونانية واهتمت بها المعاهد المسيحية كلغة للعهد القديم .

لكن حدث أنه بين حين وآخر كان ينظم أحد العبريين قصيدة فى العبرية تقليداً لأولئك الذين كانوا ينظمون فى اللاتينية وكانت هذه القصيدة العبرية تقدم إلى جانب ترجمة لها فى لغة أوربية إلى عظيم من العظماء لمناسبة سعيدة فقد قدمت قصيدة إلى فريدريش فلهلم الثانى عام ١٧٨٦م وأخرى إلى نابوليون بونابرت عام ١٨٠٠ م وثالثة إلى جورج الرابع سيد هانوفر وإنجلترا عام ١٨٢٢ م وإلى البابا جريجور السادس عشر عام ١٨٣١ م وإلى الملك فيتوريو عاما نوئيل الثانى عام ١٨٧٨ م .

وحدث أن تواترت الأحداث السياسية العالمية وبخاصة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فارتفعت أصوات كثيرين من اليهود مطالبين بوجوب العمل على العودة إلى أرض صهيون مهما بلغت التكاليف وتراكمت الصعاب ومتى بلغ اليهود هذه الغاية تحققت فكرة بعث الشعب اليهودى .

وواتت الصهيونية الظروف الدولية وحققت كثيراً من آمالها وأصبح الحلم حقيقة وأخذت اللغة العبرية تظهر إلى الوجود لغة رسمية لشعب اعترف به سياسياً كما أصبحت العبرية لغة التأليف لأدب شعب فرض نفسه على المجتمع البشرى بالرغم من سلوكه المشين واستخدامه مختلف وسائل الظلم والجور جرياً وراء تحقيق هذه الرغبة .

واليوم أصبحت إسرائيل هى المركز الطبيعى للعبرية لغة وأدباً وفى بلد لا يتجاوز عدد سكانه إثنين ونصف مليون نسمة ولا يهتم منهم بهذه اللغة أكثر من خمسهم فقط .

الادب اليهودى الحديث من عصر النهضة حتى الوعى القومى

ولما أقبل القرن الثامن عشر انتقلت أوربا إلى فترة جديدة من التطور العقلى كما فتحت دولها أبواب دور العلم أمام كل مواطن ومنحتة الحق فى التعليم ليدرك أهمية المسائل العالمية التى تدور حوله . وقد تزعمت هذه الحركة فرنسا ومنها انتقلت إلى بروسيا فأصبحت برلين أيام فريدريش الأكبر كعبة التحرر العقلى واستغل يهود بروسيا هذه الفرصة وقرروا أن يتخذوا من الكتاب وطناً لهم وأن يقبلوا على الآخرين متبادلين معهم التراث العقلى والروحى وهذا ما يعرف فى التاريخ الأدبى اليهودى باسم « هسكالاه » أعنى محاولة تجديد اليهودية وفتح أبواب البيت اليهودى للثقافة الأوربية . وقد حمل لواء هذه الحركة وتزعمها نفر من اليهود يعرفون باسم « مسكليم » . إلا أن اليهود لم يهدفوا من وراء هذه الحركة طلب العلم للعلم بل اتخذوها وسيلة لتحقيق رغباتهم القومية وقد تزعم هذه الفكرة « موزيس مندلزون» (١٧٢٩ — ١٧٨٦) فقد نزح عام ١٧٤٣ من ديساو إلى برلين ولم يكن فى جعبته غير رغيف من الخبز وبلغ مدخل ضاحية (روزينتالر) والذى أعد لدخول اليهود المهاجرين إلى العاصمة البروسية لشهرة هذه الضاحية وقتذاك بالنشاط التجارى اليهودى فهذه الرحلة التى تحتاج اليوم إلى ساعتين تقريباً بالقطار قطعها (موزيس) مشياً وهذه الرحلة إنما هى إنتقال بين الشرق والغرب . أما أبوه فقد كان رجلا فقيراً يقتات من نسخ التوراة وضاق الحال بابنه (موزيس) فآثر الهجرة من (ديساو) التى امتازت حينذاك بنشر العدالة وسيادة القانون وذلك لأن فريد ريش الأكبر اتخذ له شعاراً عند توليه الحكم نصه (إن الحكم من عمل الفلاسفة) وقد أرسل فريدريش هذه العبارة إلى زعيم حركة الإصلاح الألمانية ألا وهو (كريتسيان فولف) .

وعلاوة عليه ظروف (موزيس) القاسية فقد حبب إليه الهجرة أيضاً معلمه الحاخام (دافيد فرنكل) كما حثه على الإقبال على تحصيل العلوم ، ولما كان الحاخام يحترف إلى جانب عمله الدينى مهنة الصياغة فقد سلك (موزيس) مسلكه واحترف

فى برلين إلى جانب تحصيله العلمى تجارة الحرير . وهناك فى برلين نال عطف وحب الكثيرين ممن اتصل بهم وذلك لدماثة أخلاقه وتواضعه وعلمه مما حمل الطبيب (سلومون جوم برتز) على التوسط له ليعمل فى محل تجارة الحرير للتاجر الشهير (برنهارد) إذ كان (موزيس) معلم أطفاله ثم أصبح كاتب حساباته وبعد وفاة صاحب المحل تولى هو إدارته .

وكانت برلين فى منتصف القرن الثامن عشر مدينة الجيش والموظفين ، كما كان اليهود يقومون بدفع كثير من الضرائب إلى جانب الإتجار الإجبارى إبان حياة فريدريش فلهم الأول فى الخنزير البرى الذى كان يصطاده القيصر نفسه ، أما فى عهد القيصر فريد ريش الأكبر ، الذى لم يكن صياداً بل صاحب مصانع إنتاج الصينى فقد كان اليهود يشترون معظم إنتاج هذه المصانع القيصرية لعدم قدرة سكان بروسيا على اقتناء كثير من إنتاجها . كما حرمت القوانين البروسية على اليهودى أن يزيد أطفاله على اثنين ، وقصدت بروسيا من وراء تحديد نسلهم الإبقاء عليهم أقلية ضعيفة. وحتى أوائل القرن التاسع عشر كان ينظر إلى اليهود على أنهم أجانب لهم محاكمهم الخاصة ويقيمون فى عزلة عن الآخرين مضطهدين محتقرين .

وقرر موزيس مندلزون القضاء على هذا الوضع لبنى جنسه وذلك بإيقاظهم عن طريق الحضارة الأوربية التى تبعث فيهم وعيهم القومى ولاسيما فإن التوراة كما يقول اليهودى (هينريش هينه) هى أول كتاب منح الإنسان حقوقه .

ومندلزون كان إلى جانب خلقه الكريم من أحسن الفلاسفة فى عصره أمثال (ليبنيتز) و (ولف) و (فون شفتسبرى) و (هيوم) وكان أحدب قصيراً فلقبه مواطنوه سقراط اليهود .

وقد اشتهر « مندلسون » كاتباً وصديقاً للشاعر الألمانى « لسينج » والأديب وتاجر الكتب « نيكولاى » وغيرهم ، وقد كونوا فيما بينهم الرابطة الأدبية البروسية . وبفضل هؤلاء الأدباء أخذت برلين تتبوأ مكانة أدبية رفيعة بعد أن ظلت قيادة الأدب الألمانى محصورة فى (ليبزج) و (زيورخ) و (همبورج)

وعن طريق الرابطة الأدبية الجديدة أخـــذ الذوق الفرنسى يشق طريقه إلى الأديب الألمانى .

أما أشهـــر مؤلفات مندلسون فكتابه (أورشليم) Jerusalem و (ساعات الصباح Morgenstunden حيث يعرض لعدد من الفلاسفة أمثال (لوك Locke) و (شفتسبرى Sxhaftesbury) و (هينه Heine) و (ليبنيتز Leibnitz) و (كريستيان فولف Christian Wolff) كما نادى بالرأى القائل أن الديانة اليهودية لا تتعارض والمنطق . وقد ترجم هذا الكتاب الهام إلى كثير من اللغات كما وجد إقبالا عظيما من مفكرى عصره حتى قال فيه (عمانوئيل كنت Immanuel Kant) « أعتقد أن هذا الكتاب إعلان لإصلاح عظيم لا للشعب اليهودى فقط بل للشعوب الأخرى أيضاً إذ أن الصلة بين الدين والضمير قوية جداً فى اليهودية ، وهى قوية قوة ما كان الإنسان ينتظرها منهم ولا يستطيع أحد مجاراتهم فيها » .

"Ich halte das Buch fuer die Verkuendigung einer grossen Reform, die nicht allein Ihre Nation, sondern auch andere treffen wird. Sie haben Ihre Religion mit einem solchen Grade von Gewissensfreiheit zu vereinigen gewusst, die man ihr nicht zugetraut haette, und deren sich keine andere ruehmen kann."

إلا أن هذا الوضع لم يحل دون تعرض شخص مثل « يوحنا كسبر لافاتير » لمندلسون وطالبه باعتناق المسيحية ؛ لأنها أحدث دين وأكثر الديانات حرية ، وهذا المسيحى هو أحد رجال اللاهوت فى زيورخ . وقد آلم هـــذا الحادث مندلسون وعرضه لكثير من الأمراض العصبية وبالرغم من شهرته العالمية لم ينج من الاضطهاد الذى تعرض له اليهود فى ألمانيا. وكما رفض فريدريش الأكبر السماح له ليكون عضواً فى أكاديمية برلين التى نال جائزتها ببحثه الذى تقدم به إليها وموضوعه « الوضوح فى علوم ماوراء الطبيعة » . ومما زاد آلامه إيلاما أن أولاده كثيراً ما كانوا يسألونه عن سبب قذف الأطفال لهم بالأحجار إذا ما تجولوا فى حديقة من الحدائق .

وفى عام ١٧٧٢ ظهرت مجموعة من الأشعار لشاعر بولندى يدعى « ايزاقر فلكينزون بير » . وقـــد أنقذها من المعزل بينما كان يعمل تاجراً فى مدينة « كونيجزبرج » ثم شرع فى دراسة الطب فى ليبزج وحدث أن توجه إلى برلين فتعرف على منلسون وأطلع « جوته » على شعره فأعجب به وبمحاولة « بير » .

ثم غزت أوربا موجة من الجشع المادى وأصيب القوم بجنون المال والجرى وراءه فجرفت هذه الموجة حتى بعض الشعراء اليهود أمثال (هينريش هينه) وانصرف (افرايم كوه) إلى التجارة والفلسفة واللاتينية واللغات الحديثة بما فيها الألمانية وتوجه إلى برلين حيث التحق بعمل عند عمه (فيتال افرايم) وقد اشتهر بغناه الفاحش وكان يملك فى برلين أجمل قصر بها، كما تصادق (كوه) مع (مندلسون) و (لسينج) .

ثم يذهب (كوه) إلى نظم الشعر لايدافع يهودى أو روح يهودية ، كما امتاز شعره بالوطنية إذ تغنى بانتصارات فريدريش الأكبر وقامت بين (كوه) والشاعرة (انا لويزه كرش) منافسة قوية تغلبت هى عليه .

وكان هذا الشاعر اليهودى ينسج على منوال (لينسج) فهو لا يريد تخليد الذكر والفخر بل يريد نظم الشعر لأن آلهة الشعر تلهمه الشعر إلهاماً لذلك يقول :

لا أنظم الشـــعر فخراً
فى القبر لا يجلب سروراً
أنظم القصيدة كما تنسج دودة القز الحرير
أن الشعر يلهبنى ويجب أن يرى الضوء

وهكذا ظهر نفر من الفلاسفة والأدباء اليهود الذين أرادوا أن يطوروا العقلية اليهودية البالية . وقد هاجم أولئك الأدباء التلمود ودراسته أو العناية به ونعتوه بأنه مجموعة من الألغاز والأفكار الصوفية ، وهو يتعارض مع ماجاء

فى العهد القديم أو العلوم الانسانية الحديثة التى تأخذ بيد الانسانية إلى الأمام لذلك حاول هؤلاء المفكرون التقريب بين اليهودية والمسيحية علّ هذا التقارب يساعد على جلاء العقلية اليهوديه ويخرجها من الظلمات إلى النور ، وهذا الاتجاه هو الذى حدا بالفيلسوف اليهودى «دافيد فريدلندر» إلى الكتابة إلى « بروبست تلر » عام ١٧٩٩ م عارضا عليه قبول اليهود فى الكنيسة الإنجيلية إلا أن « تلر » رفض تنصيرهم وقبولهم فى كنيسته .

واليهود بين مد وجزر مصلحيهم تعرضوا لكثير من المتناقضات إذ بينما نجد من يريد أن يلقى بهم فى أحضان المسيحية الإنجيلية ، إذ بنا نجد مدرسة مندلسون تدعو إلى التشبث بأهداب اليهودية واللغة العبرية فأصدر مندلسون — وهو ابن العشرين تقريباً أعنى عام ١٧٥٠ — صحيفة أسبوعية فى اللغة العبرية تدعو إلى نشر الفضيلة ومقاومة الرذيلة ، كما حاول فيها الجمع بين فلسفة التفاؤل التى كانت سائدة فى عصره وفلسفة العهد القديم. وفى سنوات متأخرة نشر بعض البحوث فى العبرية حول الفلسفة إلا أنه أدرك أن اللغة العبرية لا تنهض بهذه الرسالة العلمية الرفيعة وإن كنا نجد بين منشوراته التى تقع فى ستة عشر مجلداً ثلاثة فى اللغة العبرية فمندلسون من هذه الناحية كان من أنصار اللغة العبرية وبعثها أكثر منه مصلحاً كما أن تعصبه الدينى اضطره إلى عدم التفكير فى القيام بأى تجديد . ومن حسن حظه أن مجلته الأسبوعية تركت أثراً بعيداً فى كثيرين من الشبان خاصة أبناء مدينة (كونيجز برج) لذلك قرروا عام ١٧٨٣ إصدار مجلة شهرية فى برلين اسمها (هما سيف) أى « الجامع » وظلت هذه المجلة تصدر بالرغم من توقفها أحياناً نحو سبعة عشر عاماً (١٧٨٤ — ١٧٩٧) ومن (١٨٠٩ — ١٨١١ و١٨٢٩) . ومن أشهر كتاب هذه المجلة « وسلى وساتانوف وفرنكو منديس ويوسف هاعفراتى والأخير من مواليد (تروبلوفيتس) بإقليم شليزيا العليا وقد ولد حوالى ١٧٧٠ وتوفى عام ١٨٠٤ وقد احتذى المؤلف المسرحى اليهودى الإيطالى موسى حاييم لوزاتو والمشهور باسم رحال و (ليسينج وشيلر) فألف أول مسرحية تقدمية عبرية وهى « ملحوت شاؤل » أى مملكة شاؤل

عام ١٧٩٤ وقد أعيد نشر هذه المسرحية كثيراً كما أثرت تأثيراً عظيما فى بعث اللغة العبرية وتطورها .

أما « هرتفج . نفتالى هيرش — وسلى » فقد ولد فى همبورج (١٧٢٥ — ١٨٠٥) وكان يجيد عدة لغات وتاجراً متنقلا بين أمستردام وبرلين وكوبنهاجن واقترن بيهودية جميلة غنية متعلمة . وكان الشاعر الأول فى العبرية فى عصر النهضة . ولما بلغ « وسلى » الستين شرع فى تأليف ملحمة عن موسى إلا أنه قضى نحبه قبل أن يتمها وقد صرف فيها عشرين عاماً .

ومن رواد استخدام العبرية أيضـــاً « دليتش » و « هردر الذى نشر « صفحات من الماضى وأشعاراً وأمثالا خيالية دينية وخلقية[1] » وقد نشرها فى صحيفة « مركور الألمانية عام ١٧٨١ وغيرها . وأخرج أيضاً عام ١٨٠٢ « أدرستيا Adrastea » كما أصدر « ف . بمبرجر » طبعة جديدة لها ضمن مطبوعات الناشر « شوكين » فى برلين عام ١٩٣٦ .

وقد نسج على منوال « هردر » عدد كبير من اليهود المشايعين للحركة القومية اليهودية . كذلك نجد « اسحق هليفى ساتانوف الذى ولد عام ١٧٣٢ فى بودولين وتوفى فى برلين عام ١٨٠٥ وكان أديباً كاتباً لامعاً فى اللغة العبرية وهو يعتبر وبحق أحد ناشرى العبرية لغة وأدباً .

أما « دافيد فرنـكو منديس » فهو يهودى هولندى (١٧١٣ — ١٧٩٢) مسيحى ، أعنى من أولئك اليهود الذين اضطروا إلى اعتناق المسيحية أو بتعبير أدق إخفاء عقيدتهم اليهودية تقية ، ومثل هؤلاء اليهود يعرفون أيضا باسم « مرّانين Marranen » وهو لفظ أسبانى معناه خنازير . وكان دافيد فرنـكو منديس تاجراً وشاعراً وعالماً ، وقد تتلمذ على « موسى حاييم لوزتّو » الذى هاجر من

---

(١) Blaetter der Vorzeit. Juedische Dichtungen und Parabeln

إيطاليا إلى هولندة ، لأنه طرد من الكنيسة لاهتمامه بالمسائل المسيحية وقد ألف « لوزتو » بعض المسرحيات الرمزية . أما تلميذه « دافيد فرنكو منديس » فقد تخلص من اسم « فرنكو » وتسمى باللفظ العبرى « حفشى » ومعناه « حر » ليتحرر من المسيحية ويعود إلى اليهودية . وقد ألف « جمول عتلياه » أى جزاء عتلياه[1] وقد نشرت فى أمستردام عام ١٧٧٠ وهى مقتبسة من مسرحية راصين « استير وعتالياه » كما وضع « منديس » كذلك مسرحية « ميتاتستيو » شاعر قيصر النمسا وكان يحبه اليهود الإيطاليون كثيراً فترجموا معظم أشعاره أو قلدوها ومن مؤلفات شاعر القيصر « بتوليا ليبراتا Betulia Liberata » وقد اقتبسها « منديس » أيضا لمسرحيته « تحرير فلسطين على يد يوديث Die Befreiung Israels durch Judith » وقد هدف الكتاب والشعراء العبريون إلى نقل تراث الآريين إلى الساميين وشعارهم « جمال يافث فى خيام سام Die Schoenheit Jephets in die Zelte Séms» لذلك نشط العبريون إلى ترجمة بعض آثار أمثال شيللر وإصدار عدد من المجلات وتكوين إتحاد المؤلفين والكتاب ومحاولة الجمع بين هؤلاء والقراء ، وبذلك تكونت الخلية الأولى لقيام الأدب اليهودى المعاصر . هكذا كان الوضع فى ألمانيا وإذا تركناها إلى النمسا وبخاصة فى الفترة الممتدة بين ١٨٢٠ — ١٨٥٠ وجدنا عدد قراء العبرية فى النمسا والمجر يفوق بعض المئات القاطنين فى ألمانيا وبينما نجد أشهر العارفين بالعبرية فى ألمانيا بخاصة هم رجال التلمود ودارسوه وطلاب المعاهد الدينية الذين حرم عليهم الاهتمام بالمسائل الدنيوية إذ بنا فى النمسا والمجر نجد يهوداً متحررين من سلطان التلمود وتعاليمه لذلك رحل عدد من الكتاب العبريين من بروسيا واستوطنوا فينا و « بيمن » و « ميرين Maehren , Boehemen » كذلك نزلوا فى غاليسيا وبودولين Podolien وشمال إيطاليا النمساوى .

ومن أشهر الشعراء العبريين الذين عاشوا فى النمسا والمجر حتى منتصف القرن

---

(١) عتليا الملكة الوحيدة التى جلست على عرش مملكة يهوذا فى الفترة الممتدة بين ٨٤٣ و ٨٣٧ ق . م .

التاسع عشر « شالوم هكوهين » أو كما يعرف أحياناً باسم « كوهين » وقد ولد فى « مسريتش Mesritsch » ببولندة عام ١٧٧٢ وتوفى فى همبورج عام١٨٤٥ وكان هذا الشاعر يعتبر همزة الوصل بين الحركة الفكرية العبرية « هسكالاه » فى كل من برلين وفينا . وقد نشر بعض مؤلفاته فى العبرية ومعها ترجمة ألمانية . ففى عام ١٧٩٩ ظهر كتابه « حكم آجور — مشلى آجور » وقد استخدم فى الترجمة الألمانية حروف الأبجدية العبرية شأنه شأن سائر اليهود الذين حرموا حتى استخدام الحروف العربية عند نشر الكتب العربية تنفيذاً لأوامر رجال الدين اليهودى .

وفى عام١٨٠٧ نشر كتابه نباتات من الشرق فى الأراضى الأوروبية الشمالية(١) مخالف « مندلسون » الذى كان يدعو إلى التأليف بالعبرية . ولما مات « وسلى » ماتت معه فكرة بعث وإحياء اللغة العبرية . أما كتابه نباتات شرقية فى البلاد الشمالية « الأوربية » فينقسم إلى ثلاثة أقسام : موت إبراهيم فى أور الكلدانيين والقسم الثانى يهتم ببعض المزامير التى تتصل بحياة داود ثم مسرحية « نابوت » الإسرائيلى وهى تقع فى فلسطين .

أما فيما يتصل بالأديب « هكوهين » فقد ظهرت له مؤلفات ألمانية فقط ففى عام ١٨٢٦ ظهرت المسرحية « ديون Dion » كما أن رسائله العبرية الألمانية كانت المثل الأعلى فى القرن التاسع عشر مما دفع كثيرين إلى التتلمذ عليه . وألف أيضاً ملحمة داود ، ووضع أول ملحمة اشتراكية اسمها « العمل وترزه Arbeit and Tirza » وقد صدرت عام ١٨١٢ .

وقد ابتدع اليهود النمساويون الذين كانوا يهتمون بالتربية فكرة تربوية جديدة تتصل بالعقائد الشعبية الخرافية ومن أشهر هؤلاء المؤلفين « يوسف بيرل Jossef Perl » (١٧٧٣ — ١٨٣٩) وكذلك « اسحق ارتر Jizchak Erter » (١٧٩١ — ١٨٤١) كلاهما كانا متأثرين بالمذهب الواقعى فأجادا الهجاء ليهاجما الحركة الشعبية التى انتشرت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، أعنى

---

(١) Morgenlaendische Pflanzen auf noerdlichem Boden.

الحركة الحسيدية نسبة إلى مذهب الحسيديم ، وقد نعتت بالشعبية لأنها تتعارض مع التفكير العالى الرفيع الذى يتجلى فى مسلك وعلم رجال التلمود وتعاليمه والتى هى دين القلب حتى لجهلاء اليهود. وكانت هذه الحركة ممهدة لظهور فكرة القومية ولو أن الحسيديم يقدسون الحاخامين ويعتبرونهم أصحاب المعجزات . فالحسيدية هى فى الواقع النبع الذى خرجت منه القصة العبرية الحديثة ســـواء كانت هذه القصص الحسيدية فى العبرية أو اليديش .

وإذا تركنا ألمانيا والنمسا والمجر وعرجنا على روسيا فى النصف الثانى فى القرن التاسع عشر حيث الثورة الفكرية اليهودية الروسية تغلى مراجلها الفينا أنفسنا وجهاً لوجه مع الأدب اليهودى الحديث حيث بدأ هنا استجابة للرغبة الملحة فى إصلاح المدرسة والجمع بين التعليمين اليهودى المحافظ والأوربى المتطور ولا سيما فكرة التسامح التى أخذت تنتشر بين الأوربيين عاونت على قيام شىء من المساواة بين الطوائف المختلفة يهودية ومسيحية ، وهكذا انتقل التعليم تدريجياً من مدرسة التلمود « يشيبه » إلى المدرسة المدنية الحديثة إلا أن تعكير صفو الأمن الذى ساد فترة بين اليهود وتعرضهم عامى ١٨٨١ — ١٨٨٢ لثورة روسية (بوجروم) عارمة عطل تقدم النهضة العقلية اليهودية بعد أن ساروا فى طريقها شوطاً بعيداً وحلت محلها الصهيونية التى أخذت تنتشر سراً بين اليهود كالنار فى الهشيم وأخذت هذه الحركة تلقى قناعها بعيداً تدريجياً وأوضحت عن أهدافها الخاصة بقيام دولة إسرائيلية .

ابراهام مبو

Abraham Mapu

ولد فى وليبوو بلتوانيا عام ١٨٠٨

وتوفى فى كونيجز برج عام ١٨٦٧

شاعر عبرى حديث ، كما أنه أول قصصى فى الأدب اليهودى وقد انحدر من أسرة اشتهرت منذ أجيال بالعناية بالتصوف ، وقد درس دراسه أوربية واهتم كثيراً بتاريخ الشعب اليهودى ومن ثم تأثر بآراء بعض المتحمسين للتأليف بالعبرية وأقام فى (فلنا Wilna) زمنا إبان قيام النهضة الفكرية فى لتوانيا والتى هى امتداد للنهضة اليهودية الروسية . وفى عام ١٨٥٠ انتهى من قصته التاريخية « أحبت صيون » أعنى الحب لصهيون فكانت هذه القصة اكتشافا لحقيقة اليهودى فى العهد القديم ؛ فموضوع القصة يقع إبان عصر نبوءة يشعيا ويعرض مقدرات البشر فى صورة بدائية يهتم لها الشاعر أما الأحداث فمعقدة ، هذا مع الإشارة إلى أن « مبو » كان مغرما بالخيال القصصى.

ومنذ أن وضع « وسلى » ملحمة موسى « موزيدا Moseide » أصبحت مواضيع العهد القديم تكوّن جزءاً هاماً من الأدب العبرى الحديث؛ فظهرت ملاحم ومسرحيات حول مواضيع مثل « آخاب ونابوت » وهى قصة تتصل بنابوت اليزرعيلى الذى كان له كرم فى يزرعيل بجانب قصر آخاب ملك السامرة فرغب آخاب فى كرم نابوت وعرض عليه كرما غيره أو ثمنه فرفض «نابوت»فاحتالت ايزابل إمرأة آخاب على نابوت وكتبت رسائل إلى شيوخ يزرعيل وأشرافها تدعوهم إلى إعلان الصوم وإجلاس نابوت فى مقدمة القوم ورجلين تجاهه ليشهدا قائلين أن « نابوت » جدف على الله وعلى الملك ثم يرجم حتى يموت (سفر الملوك الأول إصحاح ٢١) .

وغير آخاب ونابوت نجد أيضا « ياثيل وسيسرا » وياثيل هى إمرأة يهودية غدرت بالقائد الكنعانى سيسرا وقتلته بينما كان نائما لديها (سفر القضاء إصحاح ٤ — ٥) .

وقد استغل « مبو » غير هاتين الحادثتين الواردتين فى العهد القديم الشىء الكثير من أخبار الرحلات ونباتات وجغرافية الكتاب المقدس فى سبيل خلق نتاجه الأدبى هذا بالاضافة إلى اقتباساته من الفرنسيين المعاصرين .

أما قصة « مبو » فتدور أحداثها فى البيئة الريفية لا الفلسطينية الشرقية بل الروسية التى كان يعيش فيها ولم تكن هى الحياة التى تطيب إليها نفسه ، لذلك هام بالأرض المقدسة واشتاق للعودة إليها . ولعل هذا العنصر فى قصة « مبو » هو الذى سبب لها هذا الإقبال العظيم سواء فى لغتها الأصلية أو التى ترجمت إليها وقصة « أحبت صيون » هذه التى تعنى بتصوير يهودى العهد القديم تصويراً دقيقاً مع عـــدم توخى المؤلف الالتزام بإشباع عطش المتعطش إلى المعرفة متخيلا الأصول التى يجب أن تربط بين ماضى اليهود وحاضرهم ، لذلك لم يعبأ « مبو » بسخرية العلماء الذين يجرون وراء الحقائق العلمية المطلقة. ويكفى «مبو» أنه صرف من حياته عشرين عاماً قضاها فى وضع هذه القصة التاريخية وقد اختار لنفسه بقعة فوق الجبل تطل على نهر يجرى بالقرب من مدينة «كونو Kowno» اللتوانية حيث كان يعمل هناك مدرساً فى مدرستها ، وبالقرب منها كوخ يعتقد القوم أنه ما أقام به شخص وتمنى أمنية إلا وتحققت ويذكر القوم أن « نابليون » أقام به فترة فصار عظيماً وكذلك الشاعر « ميكيفيتش Mickiewitsch » الذى تمنى استقلال بولندة فتحققت أمانيه . وفى هذا الكوخ عاش « مبو » دائباً على التأليف فحقق أحلامه وأقبل القوم على قراءة كتبه وبخاصة طلاب الـ « يشيبا » على قراءة هذه المؤلفات التى تربط بين العبرية القديمة والمستحدثة التى أخرجتهم من القديم البالى إلى الحى النامى ؛ فالشاعر الأديب «مبو» يعتبر وبحق أول من جسد الآمال الحديثة التى صاغها من الماضى وتعاليم الحسيديم وطلع بها كائناً حياً جديداً هذا مع حرصه على إبراز نواحى النقص فى الحياة اليهودية المعاصرة فهو لم يصور هذه الحياة على أنها حياة الكرام البررة بل المنافقين الفجرة وقد أخرج فى هذه المعانى روايته « ها آيت هصبوع » أى العقاب الملون ويعنى المؤلف بهذا الاسم المنافقين .

ولم يتحرر الأديب من استخدام الرمزية تجنباً للرقابة الروسية على المطبوعات إلا بعد إعلان الاصلاح التحررى الذى صدر عام ١٨٥٥ عقب جلوس اسكندر الثانى على عرش القيصرية فانصرف « مبو » عن القصة التاريخية إلى الأخرى المعاصرة مصوراً وناقدا فتحدث عن حياة المعزل حديثاً لا كذب فيه ولا تدليس فهو يتكلم عن الجشع والنفاق من ناحية والفقر القاسى من ناحيـــة أخرى . وهذه السنة التى استنها « مبو » لم تحل دون الحديث عن الشخصيات وعرضها العرض الحقيقى وبخاصة عن طريق الأحاديث التى دارت بينه وبين أصحابها .

وبينما كان المؤلف يعد العدة لطبع روايته « ها آيت هصبوع » كان يستعد لتأليف رواية تاريخية أخرى وتعتبر وبحق خير ما أخرج « مبو » ألا وهى « أشمت شمرون » أى « خطيئة سماريا » وقد صدرت عام ١٨٦٦ وهى نقيضة قصته التاريخية الأخرى « أحبت صيون » التى عرض فيها لدولة يهوذا وطنا بينما فى « أشمت شمرون » يعرض للزمن ويتحدث عن الأحداث التاريخية فى الدولة الشمالية المعادية أعنى « إسرائيل » التى كانت تواصل اعتداءاتها على الدولة الجنوبية ؛ ففى هذه القصة نجد المـادة أكثر تنوعاً مع تعدد الشخصيات التى يعرضها فهنا نجد الثقافة الكنعانية فى الدولة السامرية يعرضها على لسان الأنبياء لا حسب خيال الشاعر ، وهو هنا ولا شك متأثر بالتراث الأدبى الفرنسى أو الانجليزى فعرض الثقافات القديمة عرضا شيقاً .

ولم يقتصر اهتمام « مبو » على الكبار بل اهتم بالصغار أيضاً فكتبت لتلاميذ المدارس الذين يدرسون العبرية واللغات الأوربية الحية .

موريتس (موسى) هيس

Moritz (Moses) Hess

ولد فى بون عام ١٨١٢ وتوفى فى باريس ١٨٧٥

ويسمى أيضاً الحاخام الشيوعى لأنه أول المنادين بالشيوعية الحديثة وكذلك الصهيونية، كما أنه من أتباع مذهب الفيلسوف «هيجل»، كما ساهم مع كارل مركس وانجيلز فى الدعوة للمذهب الشيوعى. وقد اضطرته هذه الميول الشيوعية إلى التعمق فى دراسة تاريخ الشعوب وعقلياتها المختلفة التى تؤدى بدورها إلى قيام الثقافات المتنوعة، ولا شك فى أن كتابه «روما وأورشليم» والذى ظهر عام ١٨٦٢ والذى يدعو إلى القوميـــة اليهودية يعتبر بمثابة حجر الأساس لظهور المذهب الصهيونى.

وتسمية الكتاب «روما وأورشليم» لا تشير إلى مدينتى روما وأورشليم بل إلى عالمين مختلفين روما المدينة الزراعية الإيطالية التى ظلت تكافح زهاء سبعة قرون حتى أصبحت سيدة البحر الأبيض المتوسط وسيدة العالم إبان حكم القيصر أغسطس وبعد موت يوليوس قيصر أخذت تودع تدريجياً مكانتها. أما أورشليم فهى الحصن الجبلى فى الشرق الأدنى وقد ارتفع شأنها نوعاً ما إبان حكم داود ومن ثم أخذت تتعرض لعواصف التاريخ وزوابعه وتتحين الصهيونية الفرص لتجعل منها عاصمة للعالم أو عاصمة لملكة الله الأرضية.

وكتاب «روما وأورشليم» هذا قد صدر كرسائل متبادلة وعليها تعليقات، وهو يكون حجر الأساس للصهيونية وأطماعها الاستعمارية فمن هذا الكتاب يتبين الباحث حقيقة المذهب الصهيونى وأهدافه، وقد أهدى المؤلف كتابه هذا إلى جميع الذين يكافحون فى سبيل إعادة بعث قوميات الشعوب التى خلقت التاريخ، كما يؤمن «هيس» أن النتيجة الحتمية لبعث الدول والقوميات ظهور الدولة اليهودية، وبعد مائة سنة تحققت أمنية «هيس» ونقلت رفاته إلى فلسطين حيث شيعتها الحكومة الإسرائيلية رسمياً، و «هيس» هو أول يهودى غربى تنبه إلى الحسيديم واستغل مذهبهم فى سبيل تحقيق أهدافه السياسية بالرغم من اتساع هذا الخلاف فى النصف الثانى من القرن التاسع

عشر بين المحافظين والتقدميين من ناحية وبين هؤلاء وأنصار مزج الشعب اليهودى بغيره من الشعوب من ناحية أخرى ، وفى هذه الفترة من الزمن وضعت الأسس لقيام الصهيونية كحركة حديثة سواء فى ألمانيا أو روسيا وذلك بفضل كتاب «هيس» «روما وأورشليم» وغيره من المؤلفين والناشرين اليهود والمؤلفات القصصية لأمثال (فارص) سمولنسكين ١٨٤٠ — ١٨٨٥ Perez Smolenskin ، وهو كاتب واسع الاطلاع غزير الثقافة وجه اهتمامه إلى تأكيد الاعتراف أن اليهودية ليست رابطة دينية بل هى العقيدة الجامعة الرابطة لشعب خاص وأن هذه العقيدة الدينية ، مباشرة أوغير مباشرة ، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باللغة العبرية وكل انحراف عنها يؤدى ولاشك إلى إضعاف أواصر الترابط بين أفراد الشعب، لذلك فهو حريص جد الحرص على التمسك باللغة العربية والإبقاء عليها حفاظاً على الإبقاء على الوعى القومى الحديث، وهذا يؤدى بدوره يوماً من الأيام إلى خلق الدولة اليهودية وقيامها لذلك أسس عام ١٨٦٧ فى فينا مجلة عبرية اشـــترك فيها ألف وثلاثمائة مشترك وإسمها «شحر = صبح» ويذكر «سمولنسكين» فى منهج مجلته «لا عار إذا اعتقدنا أن نفينا يجب أن ينتهى وأن اليوم سيأتى الذى تحصل فيه الأسر الإسرائيلية على وطن مثلها مثل سائر الشعوب، والذين لا يخجلون من الأمل فى مجىء يوم الخلاص والحرية؛ لا عار إذا تمسكنا بلغتنا القديمة التى رافقتنا طيلة أجيال السنين والنفى والتجوال ، اللغة التى استخدمها شعراؤنا وكتابنا للتعبير عن مشاعرهم عندما أتوا يقيمون آمنين فى وطنهم الأصلى الذى عاش فيه أجدادنا طويلا وأودعوه قلوبهم ورووه بدمائهم التى سالت كالماء ، كما يجب على الشعب ألا يخجل إذا ما تمسك وبحزم بلغته، وتلك اللغـــة هى الحافظة الأمينة على قوة الشعب وإذا ما أهملها وفرط فيها أبناؤها زالوا من الوجود فكل من يحاول إبعادنا عن لغتنا العبرية إنما يريد بالشعب وشرفه شراً » .

وكان يدرك « سمولنسكين » أن الشعب اليهودى سيقاسى كثيراً من بعض الآخرين له واضطهادهم إياه حتى يضع قدمه على أرض فلسطين ويقيم دولته التى سيكون لسانها القومى العبرية .

وعلاوة على باب الدوريات والأدب نقرأ فى مجلة « شحر » ابتداء من العام

الثالث أبحاثاً علمية أخرى بأقلام أمثال (سلمون بوبر ١٨٢٨ — ١٩٠٦) والمستشرق (دافيد هينريش فون مللر ١٨٤٦ — ١٩١٢) .

والكاتب «سمولنسكين» العبرى هو أول من عالج اليهودية علاجا قومياً ونظر إليها نظرة قومية وذلك فى كتابه « عم عولام = الشعب الخالد » والذى بقى فيه ثلاثة فصول :

١ — متنبىء ومشرع .

٢ — هليل الشيخ .

٣ — الحماس للشريعة .

وفى هذه الفصول عالج اليهودية على أنها مذهب قومى يعتمد على أصول دينية لذلك فهو يعارض كل مايجرد اليهودية من قوميتها نتيجة لحركة الإصلاح الألمانية وهو يطالب بيهودية متعلمة تعتمد على السير قدما فى النهضة العقلية مع الحرص على خلق دولة يهودية، وهذا الرأى يتفق ومذهب المؤرخ الثقافى «كروخمال» «وقد يرد مختصراً — رمسك» (١٧٨٥ — ١٨٤٠) و «نحمان كروخمال» هذا كان زعيما لحركة الإصلاح العالمية كما كان عالماً متضلعا فى الدين اليهودى وفلسفة التاريخ وقد ولد فى «برودى» وتوفى فى « ترنوبول» فهوزعيم التطورالفكرى اليهودى الروسى من حيث اتفاقه مع « هيردر » فى خضوع التاريخ للمراحل الثلاث المعروفة باسم « الدوائر الثلاث» أعنى «الصعود» ثم القمة ثم السقوط، ومكانة إسرائيل بين الشعوب أنها مرت بهذه المراحل الثلاث . وقد أراد «كروخمال» عرض التفاعل الذى تم بين اليهود والشعوب الأخرى فى ضوء الفهم الجديد للتاريخ فشرع فى تأليف كتابه «موره نبوكيم هزمن» أى دلالة الحائرين المعاصرين وتاقفه القدر المحتوم قبل أن يتمه وأخرجه عام ١٨٥١ «ليوبولد زنز». ويقابل هذا الكتاب المؤلف الشهير لموسى بن ميمون أعنى (دلالة الحائرين وقد وضعه بالعربية وفيه يعالج ابن ميمون مسائل فلسفية خاصة بالتعاليم اليهودية كالاعتقاد فى الله والخلق والنبوة وإثبات صحة الشريعة اليهودية) .

وفى القرن العشرين ألف المفكر اليهوى « كوك » كتاباً آخر اسمه «موره نبوكيم حدش » أى الدليل الجديد للحائرين .

ومن بين الذين نسجوا على منوال « كروخمال » الكاتب «ايزيك هيرش فيس» (١٨١٥ — ١٩٠٥) وقد اهتم كثيراً بمخلفات الحاخامين وأصدرها فى مؤلف هو « دور دور ودورشاو » أى « الأجيال وشراحهم » .

وهناك تليذ آخر للعالم « كروخمال » ألا وهو الحاخام الأكبر «براج» واسمه «شاومو يهودا رابوبورت» وقد يرد مختصراً «شير» (١٧٩٠ — ١٨٦٧) وهو أحد مؤسسى العلوم اليهودية وأحد المهتمين بالآداب العبرية فى مطلع العصور الوسطى وقد ولد فى « لمبرج » وتوفى فى « براج » وقد كثر اهتمامه بسعديا الفيومى وغيره أمثال اليعازر كلير وناثان بن يحيئل، ومن أشهر مؤلفاته « عرك مللين » أى معجم لغوى يتصل بالتلمود ولم يتمه .

وينتمى إلى هذا الفريق من العلماء الأديب اليهودى الإيطالى «شموئيل داود لوزتّو» وقد ولد فى تريست عام ١٨٠٠ وتوفى فى بادوا عام ١٨٦٥، وهو أحد مؤسسى العلوم اليهودية وشراح العهد القديم بالعبرية كما ترك كثيراً من الشعر فى العبرية كما ألف تاريخ حياته فى اللغة العبرية .

هؤلاء هم أشهر أفراد مدرسة «سمولنسكين» الشاعر الأديب الذى أولع بالمسائل الأدبية وهام بها ، كما نتبين هذا من رسائله التى ألفها فى شبابه وقد عالج فيها أشهر مؤلف عبرى أعنى « مابرلتّريس » الذى ولد عام ١٨٠٤ فى زولكييف وتوفى فى فينا عام ١٨٧١ وقد نظم كثيراً من الشعر العبرى الحديث كما نقل إلى العبرية فاوست لجوته وتحت عنوان « بن ابويا » . وكذلك ألف «قصصاً من الشرق» وصحفاً غربية شرقية عام ١٨٤٧ . أما القصص الثلاث عشرة التى عرضها فمأخوذة عن التلمود كما أن بعض قصصه الأخرى ترجع إلى مطلع العصور الوسطى، وهكذا أخذ يقدم هذا المؤلف لقراء الألمانية نماذج من التفكير العبرى .

أما الغربية الشرقية فعبارة عن شعر يقع فى نحو عشرين قصيدة بعضها له والبعض

لغيره كما فعل فى ترجمته لفاوست إذ استعار شخصية من التلمود اشتهرت بالمروق عن الدين أعنى « اليشع بن ابويا » الذى طرده اليهود من الدين ، وللمؤلف رسالة أخرى صغيرة اسمها « مشفط امت » أى « حكم عدل » وقد وضعها عام ١٨٧٠ وهى رد على نقد وجهه إليه « سمولنسكين » بمناسبة إصداره « فاوست » .

ولم يطلع النصف الثانى من القرن التاسع عشر حتى كثر عدد المهتمين بهـذه الدراسات الأدبية . وكلها تهدف مثل دراسات « مارلتـّريس » إلى تثقيف القارىء العادى ؛ لذلك ترجم الصلوات العبرية إلى الألمانية ، كما اختص النساء والفتيات بكتاب خاص للصلاة ، وحقق النص العبرى للعهد القديم والذى يعتبر من أهم المراجع للذين يعنون بدراسة العهد القديم أو ترجمته ، وترجم « مار لتـّريس » و « سمولنسكين » و « مبـّو » يساهمون صادقين فى إخراج اليهود من مدرسة التلمود إلى الجامعات الأوربية الحديثة ، كما مكنوهم من النقد فى مختلف بلاد العالم بفضل إجادتهم لكثير من اللغات الحية فضلا عن اهتمامهم بالعلوم الحديثة وإنقاذهم من بيئة النفاق والرياء والتظاهر بالتمسك بتعاليم الدين التى كانوا يتخبطون فيها كما تصورها قصص أولئك الأدباء ومختلف مؤلفاتهم ولعل خير رواية تصور تلك البيئة هى تلك التى وضعها « سمولنسكين » حول « فرح المنافق » « سمحت حنيف » والتى جمع عناصرها طيلة إقامته فى « أوديسا » . أما مسائل الخلاف التى كانت تشغل أدباء تلك الفترة الشاغل فتدور حول الحب والعاطفة و « فرتر » و « فاوست » و « هملت » و « ناثان الحكيم » .

ولعل أشهر رواية للأديب « سمولنسكين » غير « سمحت حنيف » هى « حتا بدركى حييم » أى « يضلون فى سبل الحياة » وقد صدرت هذه الرواية كعادته فى النشر فصولا تباعاً نشرت فى مجلته وهى تعتبر من أشهر نتاجه الثقافى العبرى ، وله أيضاً « قبورت حمور » أى « وصمة الدفن » و « جمول يشريم » أى جزاء المتقين وهو يصور هنا فشل الثورة البولندية ضد روسيا والتى اشترك فيها كثيرون من اليهود طمعاً فى المساواة التى قد يحصلون عليها فى بولندة إلا أن أمانيهم كانت قبض ريح وذلك لأن المساواة لن تتحقق بين اليهود وبين شعب آخر يختلف عنهم جنساً وديناً وخلقاً ، فضلا عن أن اليهودى لم يتأصل فى بلد ما فهو يقيم لا ليستقر بل ليتأهب للرحيل إلى خارج وهذه

الصفة جردت اليهودى من حب الاستقرار، والاستقرار كما نعلم هو الدعامة الأولى للقومية وأراد «سمولنسكين» أن يصور هذه النزعة اليهودية الدائبة الرحيل فشرع فى تأليف قصته «هيروشاه» أى الميراث وحاول فيها تصوير حياة يهودى رومانى هاجر إلى أمريكا وهنا يقدم «سمولنسكين» شخصيات يهودية متنافرة المشارب والطباع والعادات ويقدم شابا يهوديا ترك عقيدته وامتزج فى روسيا ومن ثم أراد العودة إلى عقيدته الأولى وهنا يقع فى مختلف المنازعات وهذه الصورة يعرضها «سمولنسكين» فى قصته «نقم بريست» أى انتقام العهد .

وقد نشر الكاتب فى أواخر حياته كثيراً من المقالات الصهيونية التى تركت أثراً أبعد من « أحد هاعم » والدافع الرئيسى لهذا الحماس للصهيونية فى روسيا الاضطهادات المتوالية « بوجوم Pogrome » التى وقعت فى جنوب روسيا عامى ١٨٨١ — ١٨٨٢ ، فمقالات «سمولنسكين» فى الصهيونية تتمم فى الواقع كتابه «عيت لطعت» أى وقت للزرع وقد نشره فى الفترة ١٨٧٥ — ١٨٧٨ . وفيه يقرر أن اليهود شعب وليسوا جماعة دينية .

وغير المجلات الشهرية التى تصدر بالعبرية فى شرق أوربا نجد أخرى أسبوعية وأخرى يومية، وهذه الظاهرة تشير إلى الاهتمام المتواصل باللغة العبرية ونشرها، وتزايد عدد الكتاب الذين يجيدون أو يحاولون استخدام العبرية ، وإذا ذكرنا الصحافة ومحرريها ذكرنا القراء أيضا وهذا ليس بمستغرب إذا علمنا مدى نشاط اليهود المتواصل لتدريس اللغة وإحيائها وبعثها، فقد فرضت فى المدارس اليهودية فالطفل اليهودى كان يدرسها ويدرس العهد القديم حتى الثامنة تقريبا كمادة أساسية إذ كان يبدأ التعليم وهو ابن الخامسة وبعد ذلك ينتقل إلى دراسة التلمود وما يتصف به من دراسات أخرى تعد للالتحاق بالجامعة ، وهذه الدراسات التلمودية الأدبية لم تعن بعبرية العهد القديم بل بالعبرية المتأخرة المترجمة بالآرامية . إلا أن الحركة التى هدفت إلى نقاء اللغة العبرية طالبت بالعودة إلى عبرية العهد القديم إلا أن هذه الحركة معناها الابتعاد عن الدراسات الحديثة التى تنهض بالمجتمع والابتعاد عنها يعزل اليهود عن المجتمعات الحديثة الآخذ بأساليب الحياة المتطورة علمياً

واقتصادياً واجتماعياً ولا شك فى أن دور الصحافة فى سبيل تحقيق هذه الأهداف الصهيونية خطير جداً ودارس الأدب اليهودى الحديث أو الصهيونى مطالب بالإحاطة بالصحافة اليهودية وبخاصة تلك التى عاصرت الفكرة الصهيونية إلى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

يرجح مؤرخو الصحافة اليهودية أن امستردام هى المدينة الأولى التى رأت أول صحيفة يهودية إذ ظهرت عام ١٦٦٧ صحيفة «زيتونج أوس انديا = صحيفة من الهند Zeitung aus India » فى اللغة اليديش وبحروف عبرية ولم تصدر بانتظام وكانت تعنى بصفة خاصة بالموضوعات التجارية . وفى الفترة الممتدة بين ١٧٢٨ و ١٧٦١ صدرت صحيفة أخرى أسبوعية تعرف باسم « فروخت فوق ليبنزبوم = ثمرة من شجرة الحياة Frucht vom Lebensbaum » وبعد قرن تقريباً ظهرت فى هولندة صحيفة أخرى يهودية .

أما فى ألمانيا فقد أصدر « موزيس مندلسون » عام ١٧٥٠ صحيفة فى اللغة العبرية تعرف باسم «فوهيليت موسر = الواعظ الأخلاقى» ولم يظهر منها إلا عددان فقط . وفى عامى ١٧٧١ — ١٧٧٢ أصدر « مندلسون » صحيفة أخرى فى اللغة الألمانية لكن بحروف عبرية واسمها « دير ينفورتر بريفيليجرته زيتونج Dyherufurther priviliegierte Zeitung » وفيما بين ١٧٨٤ و ١٨١١ صدرت صحيفة «هماسيف Der samler = الجامع» فى حروف ألمانية . ثم لم تقف قوة دفع «مندلسون» عند هذا بل أخذت تظهر مجموعات متنوعة من الصحافة والمجلات العبرية التى تعالج فنون المعارف المختلفة من أشهرها المجلة الأسبوعية « صيونا انسيكلوبيديشه فوحيبلات = صهيون المجلة الأسبوعية الحاوية لليهود Siona. encyclapaed wochenblat fuer Iaraeliten» فينا يولية - ديسمبر ١٨١٩ أسسها الويس وايجناز جيتليس Alois und Iguaz Jeittēles وكذلك مجلة المعرفة اليهودية برلين ١٨٢٢ — ٢٣ ، وأسسها ليوبولد زنز Leopold Zunz ومجلة « اليهودى Der Jude » وصدرت فى التونا ١٨٣٢ — ١٨٣٥ وأصدرها جبريل ريسر Gabriel Riesser ، ثم جاء مرتين وأعاد إخراجها فى برلين ١٩١٦ — ١٩٢٤ .

وصدرت أيضاً المجلة العلمية للديانة اليهودية فرنكفورت ١٨٣٤ — ١٨٤٨ وقد أسسها ابراهام جيجر . وأخذ عدد الصحف والمجلات يتزايد تدريجياً حتى بلغ المئات فى أوربا الغربية ، أما فى روسيا فإننا نجد النهضة الفكرية تخلق أول مركز لها عام ١٨٤١ بإصدار المناخ «فرحى صفون» أى الزهرة الشمالية وفى عام ١٨٥٦ صدرت المجلة الأسبوعية «همَّجيد» أى القاص ومابين عامى ١٨٦٠ — ١٨٧١ مجلة «هكَّرمل» أى الكرمل . أما مجلة «همليص» أى الترجمان فقد صدرت حتى عام ١٨٨٠ شهرية وفيما بين ١٨٦٠ — ١٨٨٦ أسبوعية ومن ثم حتى عام ١٩٠٤ يومية .

أما الصحيفة اليومية الثانية فقد صدرت منذ عام ١٨٦١ واسمها «صفيرة» أى السحر أو الفجر . وإذا تركنا العالم القديم واتجهنا إلى العالم الجديد إلى الولايات المتحدة الأمريكية وجدنا صحفاً أسبوعة وشهرية تصدر منذ عام ١٨٧٠ .

وفى فلسطين عرفت الصحف العبرية منذ عام ١٨٦٣ وان كانت فى أول عهدها دينية وحوالى عام ١٨٨٠ ظهرت الصحف اليومية الحديثة وذلك بفضل جهودات أمثال «سمولينسكين» و «ليليان بلوم» وى . ل . جوردون «يودا ليب جوردون Jehuda Lejb Gordon» .

و «يودا ليب جوردون» هذا قد ولد فى ٧ ديسمبر ١٨٣٠ فى فيلنا وتوفى فى ١٦ سبتمبر ١٨٩٢ فى بطرسبرج وهو شاعر عبرى حديث نظم كثيراً من الشعر التصويرى وبخاصة الشعر الرعاوى أى الذى يصف الماشية والقصائد الأخـــرى وبخاصة الوطنية ومن أشهر قصائده تلك المعروفة باسم «هاشّاه ويلداها» أى الأم وأولادها وكذلك «بين شينا اريوت» أى وسط انتقام الأسد . وثلاثة هذه المآسى «بى مزلوت يم» فى مقدرات اليم ، وكلها تستعرض النكبات التى حلت باليهود فى عصور السلوقيين والرومان والأسبان .

أما الكاتب «موسى ليب ليليان بلوم Mose Loeb Lilienblum» فقد ولد فى «كيدانى بلتوانيا» عام ١٨٤٣ وتوفى فى أوديسا عام ١٩١٠ وهو يعتبر من أشهر الكتاب فى العبرية كما أنه زعيم حركة الهجرة إلى فلسطين ، ومن مؤلفاته

كتابه العبرى فى تاريخ اليهود وهو يقع فى أربعة أجزاء وقد صدر عام ١٩١٠ وما بعدها وكذلك « حطات نعاريم » أى خطيئة الشبان وهذا الكتاب يعرض تاريخ حياته وله أيضا « ديرك تشوبا » أى طريق التوبة .

ويمتاز ذلك العصر بالنزعة الاشتراكية التى تتجلى فى مؤلفات (جوردون) والذى كان يهدف حقيقة إلى إصلاح المجتمع اليهودى الروسى بنشر هذه المبادىء الاشتراكية أو الشيوعية فى روسيا هدما للنظام القائم وقضاءاً على القومية التى كانت العامل الأساسى لكل حركات الاضطهاد التى تعرض لها اليهود سواء فى روسيا أو غيرها من الدول المسيحية، وقد تأثر (جوردون) فى شبابه كثيراً بزعيم حركة الاصلاح الاجتماعى فى (قلنـــا) ألا وهو (آدم هكّوهين ليبنزون) (١٧٩٤ — ١٨٧٨) Adam Hakkohen Lebensohn والذى تغلب عليه الواقعية وقد اشتهر أيضاً باسم (ابرهام دوف) أو حسب المدينة التى تعلم فيها (ميكاليزكى) وقد يرد اسمه مختصراً (آدام ADAM) ثم مزج بين اسمه واسم ابنه (ميكا يوسف) واختصر إلى (ميكال MICHAL) وكان شاعراً عبرياً حديثاً مثل والده ونشر لهما ديوان يعرف باسم (كل شيرى آدم وميكال) كل شعر آدم وميكال عام ١٨٩٥ وقد ولد الابن عام ١٨٢٨ وتوفى عام ١٨٥٢ .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH & STUDIES
منظمة اتحاد الجامعات العربية